المبحث الثالث: أركان الحكمة

توطئة:

للحكمة أركان ودعائم تقوم عليها، وكل خلل في الداعية إلى الله فسببه الإخلال بالحكمة، فأكمل الناس: أوفرهم منها نصيباً، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال أقلهم منها ميراثاً.

وأركان الحكمة التي تقوم عليها، ثلاثة هي: العلم، والحلم، والأناة.

وآفاتها وأضدادها، ومعاول هدمها: الجهل، والطيش، والعجلة، فلا حكمة لجاهلٍ، وطائشٍ، وعجولٍ[1].

وسأتحدث عن هذه الأركان بالتفصيل – إن شاء الله تعالى – في المطالب الآتية:

المطلب الأول: العلم.

المطلب الثاني: الحلم.

المطلب الثالث: الأناة.

المطلب الأول: العلم:

العلم من أعظم أركان الحكمة، ولهذا أمر الله به، وأوجبه قبل

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، ٢/٤٨٠.

obeikandl.com

القول والعمل، فقال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**﴾[1].

وقد بوَّب الإمام البخاري رضي الله عنه لهذه الآية بقوله: «بابٌ: **العلم قبل القول والعمل**»[2].

وذلك أن الله أمر نبيه بأمرين: بالعلم، ثم العمل، والمبدوء به العلم في قوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ**﴾، ثم أعقبه بالعمل في قوله: ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ**﴾، فدل ذلك على أن مرتبة العلم مقدمة على مرتبة العمل، وأن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو مقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل[3].

والعمل ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ، وقد يكون علم من غير الرسول ﷺ، لكن في أمور دنيوية، مثل: الطب، والحساب، والفلاحة، والتجارة[4].

ولا يكون الداعية إلى الله حكيماً إلا بالعلم الشرعي، وإن لم

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل ١/١٥٩.

(٣) انظر: فتح الباري ١/١٦٠، وحاشية ثلاثة الأصول لمحمد بن عبد الوهاب رضي الله عنه، جمع عبد الرحمن بن قاسم الحنبلي رضي الله عنه، ص١٥.

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٣/١٣٦، ٦/٣٨٨.

يصحب الداعية من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه، فسلوكه على غير طريق، وهو مقطوع عليه طريق الوصول، ومسدود عليه سبيل الهدى والفلاح، وهذا إجماع من العارفين.

ولاشك أنه لا ينهى عن العلم إلا قُطَّاع الطريق، ونوّاب إبليس وشرطه[1].

وقد قسم الإمام ابن تيمية رضي الله عنه العلم النافع – الذي هو أحد دعائم الحكمة وأسسها – إلى ثلاثة أقسام، فقال رحمه الله: «والعلم الممدوح الذي دل عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورثه الأنبياء» كما قال النبي ﷺ: «**إن الأنبياء لم يورِّثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ**»[2].

وهذا العلم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: علم بالله، وأسمائه، وصفاته، وما يتبع ذلك، وفي مثله أنزل الله سورة الإخلاص وآية الكرسي ونحوهما.

القسم الثاني: علم بما أخبر الله به مما كان من الأمور الماضية،

---

(١) انظر: مدارج السالكين للإمام ابن القيم، ٤٦٤/٢.

(٢) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، ٣١٧/٣، (رقم ٣٦٤١)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ٤٩/٥، (رقم ٢٦٨٣)، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ٨٠/١، (رقم ٢٢٣)، وانظر: صحيح ابن ماجه للألباني، ٤٣/١.

وما يكون من الأمور المستقبلة، وما هو كائن من الأمور الحاضرة، وفي مثل هذا أنزل الله آيات القصص، والوعد، والوعيد، وصفة الجنة والنار، ونحو ذلك.

القسم الثالث: العلم بما أمر الله به من العلوم المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله من معارف القلوب وأحوالها، وأقوال الجوارح وأعمالها، وهذا يندرج فيه: العلم بأصول الإيمان وقواعد الإسلام، ويندرج فيه العلم بالأقوال والأفعال الظاهرة، ويندرج فيه ما وجد في كتب الفقهاء من العلم بأحكام الأفعال الظاهرة، فإن ذلك جزءٌ من جزءٍ من علم الدين.

والناس إنما يغلطون في هذه المسائل؛ لأنهم لا يفهمون مسميات الأسماء الواردة في الكتاب والسنة، ولا يعرفون حقائق الأمور الموجودة، فرُبَّ رجل يحفظ حروف العلم التي أعظمها حفظ حروف القرآن ولا يكون له من الفهم، بل ولا من الإيمان ما يتميز به على من أوتي القرآن ولم يؤت حفظ حروف العلم، كما قال النبي ﷺ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأُتْرُجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر**»[1].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام، ٩/٥٥٥، (رقم ٥٤٢٧)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب فضيلة حافظ القرآن، ١/٥٤٩، (رقم ٧٩٧).

فقد يكون الرجل حافظاً لحروف القرآن وسوره، ولا يكون مؤمناً، بل يكون منافقاً، فالمؤمن الذي لا يحفظ حروفه وسوره خير منه، وإن كان ذلك المنافق ينتفع به الغير كما ينتفع بالريحان، وأما الذي أُوتي العلم والإيمان، فهو مؤمن حكيمٌ وعليمٌ، فهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم مثل اشتراكهما في الإيمان، فهذا أصل تجب معرفته(١).

والعلم لابد فيه من إقرار القلب، ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه؛ فإن العلم النافع – الذي هو أعظم أركان الحكمة التي من أُوتيها فقد أُوتيَ خيراً كثيراً – هو ما كان مقروناً بالعمل، أما العلم بلا عمل، فهو حجة على صاحبه يوم القيامة؛ ولهذا حذر الله المؤمنين من أن يقولوا ما لا يفعلون، رحمةً بهم، وفضلاً منه وإحساناً، فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾(٢).

---

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٣٩٦/١١، ٣٩٧ بتصرف، والفتاوى أيضاً، ٢١/٧-٢٥، وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «العلوم خمسة: فعلم هو حياة الدين، وهو علم التوحيد، وعلم هو غذاء الدين، وهو علم التذكر بمعاني القرآن والحديث، وعلم هو دواء الدين، وهو علم الفتوى إذا نزل بالعبد نازلة احتاج إلى من يشفيه منها كما قال ابن مسعود، وعلم هو داء الدين، وهو الكلام المحدث، وعلم هو هلاك الدين، وهو علم السحر ونحوه». انظر: فتاوى ابن تيمية، ١٤٥/١٠.

(٢) سورة الصف، الآيتان: ٢-٣.

وحذَّرهم عن كتمان العلم، وأمرهم بتبليغه للبشرية على حسب الطاقة والجهد، وعلى حسب العلم الذي أعطاهم الله ﷻ لا يُكلف الله نفساً إلا وسعها، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾[1].

وهذه الآية، وإن كانت نازلة في أهل الكتاب وما كتموه من شأن الرسول ﷺ وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله من البينات الدالات على الحق، المظهرات له، والعلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم من طريق أهل الجحيم، ومن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين: كَتْم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، لعنه الله، ولعنه جميع الخليقة؛ لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم عن رحمة الله، فجُوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء، والطير في الهواء؛ لسعيه في مصلحة الخلق وإصلاح أديانهم؛ ولأنه قربهم من رحمة الله، فَجُوزيَ من جنس عمله[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

(٢) انظر: تفسير عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ١/١٨٦، وتفسير البغوي، ١/١٣٤، وابن كثير، ١/٢٠٠.

وقد بين ﷺ أن «**من سُئِل عن علمٍ يَعْلَمُهُ فَكتَمَهُ أُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من نار**»[1].

فتبين بذلك وغيره: أن العلم النافع الذي هو أحد أركان الحكمة لا يكون إلا مع العمل به؛ ولهذا قال سفيان[2] في العمل بالعلم والحرص عليه: «أجهل الناس من ترك ما يعلم، وأعلم الناس من عمل بما يعلم، وأفضل الناس أخشعهم لله»[3].

وقال رضي الله عنهما: «يُرادُ للعلم: الحفظ، والعمل، والاستماع، والإنصات، والنشر»[4].

وقال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «تعلموا، تعلموا فإذا علمتم فاعملوا»[5].

وقال رضي الله عنه: «إن الناس أحسنوا القول كلهم، فمن وافق فعله قوله

---

(١) الترمذي، في العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، ٢٩/٥، (رقم ٢٦٥١)، وأبو داود في العلم، باب كراهية منع العلم، ٣٢١/٣، (رقم ٣٦٥٨)، وابن ماجه في المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه، ٩٨/١، (رقم ٢٦١)، وأحمد، ٢٦٣/٢، ٣٠٥، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٤٩/١، وصحيح الترمذي، ٣٣٦/٢.

(٢) سفيان بن عيينة بن أبي عمران، الإمام الكبير شيخ الإسلام، ولد سنة ١٠٧هـ، في النصف من شعبان، وعاش (٩١) سنة. انظر: سير أعلام النبلاء، ٤٥٤/٨-٤٧٤.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب في فضل العلم والعالم، ٨١/١، (رقم ٣٣٧).

(٤) المصدر السابق، ٨١/١.

(٥) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ١٩٥/١.

obeikandl.com

فذلك الذي أصاب حظه، ومن خالف قوله فعله فإنما يوبخ نفسه»[1].

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل، ووافق علمه عمله، وسيكون أقواماً يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يقعدون حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً، حتى أن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله ﷻ»[2].

وقال أبو الدرداء ﷺ: «لا تكون تقيّاً حتى تكون عالماً، ولا تكون بالعلم جميلاً حتى تكون به عاملاً»[3].

ولهذا قال الشاعر:

إذا العلم لم تعمل به كان حجةً عليك ولم تعذر بما أنت جاهله

فإن كنت قد أوتيت علماً فإنما يصدق قولَ المرء ما هو فاعله[4]

وبهذا يتضح أن العلم لا يكون من دعائم الحكمة إلا باقترانه بالعمل. وقد كان علم السلف الصالح – وعلى رأسهم أصحاب

---

(١) المرجع السابق، ٦/٢.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ٧/٢.

(٣) المرجع السابق، ٧/٢.

(٤) المرجع السابق، ٧/٢.

النبي ﷺ – مقروناً بالعمل، ولهذا كانت أقوالهم، وأفعالهم وسائر تصرفاتهم تزخر بالحكمة، ولهذا قال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسُلِّط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»(١).

وقد دعا النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالحكمة، والفقه في الدين، فقال ﷺ: «**اللَّهم علِّمه الحكمة**»، وفي لفظ: «**اللَّهم علمه الكتاب**»، وفي لفظ: «**اللَّهم فقِّهه في الدين**»(٢).

فكان رضي الله عنهما حبراً للأمة في علم الكتاب والسنة والعمل بهما استجابة لدعوة النبي ﷺ.

أسباب وطرق تحصيل العلم:

العلم النافع له أسباب ينال بها، وطرق تُسلك في تحصيله وحفظه، من أهمها:

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ١/١٦٥، (رقم ٧٣)، ومسلم، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، ١/٥٥٨، (رقم ٨١٦).

(٢) البخاري مع الفتح، في كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما ٧/١٠٠، (رقم ٣٧٥٦)، ١٣/٢٤٥، (رقم ٧٢٧٠)، ١/١٦٩، (رقم ٧٥)، ١/٢٤٤، (رقم١٤٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل ابن عباس رضي الله عنهما، ٤/١٩٢٧، (رقم ٢٤٧٧).

١- **أن يسأل العبد ربه العلم النـــافع**، ويستعين به تعالى، ويفتقر إليه، وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ بسؤاله أن يزيده علماً إلى علمه[١]، فقال تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[٢]، وقد كان ﷺ يقول: «**اللَّهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً**»[٣].

٢- ومنها: **الاجتهاد في طلب العلم**، والشوق إليه، والرغبة الصادقة في ابتغاء مرضاة الله تعالى، وبذل جميع الأسباب في طلب علم الكتاب والسنة[٤].

وقد جاء رجل إلى أبي هريرة رضي الله عنه فقال: إني أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أُضيِّعه، فقال أبو هريرة رضي الله عنه: «كفى بتركك له تضييعاً»[٥].

ولهذا قال بعض الحكماء عندما سُئلَ: ما السبب الذي ينال به العلم؟ قال: بالحرص عليه يُتَّبع، وبالحب له يُستَمَع، وبالفراغ له يَجْتَمِع، [عَلِّم علمك من يجهل، وتعلم ممن يعلم، فإنك إن فعلت ذلك علمت ما جهلت، وحفظت ما علمت] [٦].

---

(١) انظر: تفسير الإمام البغوي، ٢٣٣/٣، وتفسير العلامة السعدي، ١٩٤/٥.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٣) الترمذي، في الدعوات، باب في العفو والعافية، ٥٧٨/٥، (رقم ٣٥٩٩)، وابن ماجه في العلم، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، ٩٢/١، (رقم ٢٥١)، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٤٧/١.

(٤) انظر: تفسير السعدي، ١٩٤/٥.

(٥) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ١٠٤/١.

(٦) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ١٠٢/١، ١٠٣.

ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله:

أخي لن تنـــال العلـــم إلا بســـتةٍ ... سأنبئك عـــن تفصـــيلها ببيـــان

ذكاءٌ، وحرصٌ، واجتهادٌ، وبلغـــةٌ ... وصحبةُ أستاذٍ وطـــول زمـــان[1]

٣- ومنها: **اجتناب جميع المعاصي** بتقوى الله – تعالى-؛ فإن ذلك من أعظم الوسائل إلى حصول العلم، كما قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً**﴾[3].

وهذا واضح بيّن أن من اتقى الله جعل له علماً يُفَرِّقُ به بين الحق والباطل[4]؛ ولهذا قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد عَلِمَه بالذنب يعمله»[5].

وقال عمر بن عبد العزيز ﷺ: «خمسٌ إذا أخطأ القاضي منهن خطةً[6] كانت فيه وصمةً[7] أن يكون: فهماً، حليماً، عفيفاً، صليباً[8]،

---

(١) ديوان الشافعي، ص١١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٣٣٨/١، وتفسير السعدي، ٣٤٩/١.

(٥) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ١٩٦/١.

(٦) خطة: أي خصلة. انظر: فتح الباري، ١٤٦/١٣.

(٧) وصمة: عيباً. انظر: فتح الباري، ١٤٦/١٣.

(٨) صليباً: قوياً شديداً، يقف عند الحق ولا يميل مع الهوى. انظر: فتح الباري، ١٤٦/١٣.

عالماً سَئولاً عن العلم»[1].

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

شَكوتُ إلى وكيع[2] سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن علم اللَّه نور ونور اللَّه لا يُهدى لعاصي[3]

وقال الإمام مالك للإمام الشافعي – رحمهما اللَّه تعالى -: «إني أرى اللَّه قد جعل في قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية»[4].

٤- ومنها: **عدم الكبر والحياء عن طلب العلم**، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: «نِعْمَ النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[5].

وقالت أم سُليم رضي الله عنها يا رسول اللَّه، إن اللَّه لا يسْتَحْيي من الحق، فهل على المرأة من غُسلٍ إذا احتلمت؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إذا رأت الماء**»[6].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأحكام، باب متى يستوجب الرجل القضاء، ١٣/١٤٦.

(٢) وكيع بن الجراح بن مليح، الإمام، الحافظ، محدث العراق، ولد سنة ١٢٩هـ، ومات سنة ١٩٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٩/١٤٠، وتهذيب التهذيب، ١١/١٠٩.

(٣) ديوان الشافعي، ص٨٨، وانظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم، ص١٠٤.

(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم، ص ١٠٤

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ١/٢٢٨.

(٦) المرجع السابق، ١/٢٢٨، (رقم ١٣٠).

obeikandl.com

وقال مجاهد: «لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر»[١].

٥- ومنها، **بل أعظمها ولُبُّها: الإخلاص في طلب العلم**، قال ﷺ: «**من تعلم علماً مما يُبتغى به وجه الله ﷻ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة**»[٢] يعني ريحها.

٦- العمل بالعلم[٣]:

ومما تقدم يتضح أن العلم لا يكون ركناً من أركان الحكمة ودعائمها إلا بالعمل، والإخلاص، والمتابعة.

المطلب الثاني: الحلم

الحِلْمُ: بالكسر: العقل[٤]، وحلم حلماً: تأنَّى وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة، وقوة، وصفح، وعقل[٥]، ومن أسماء الله – تعالى –: (**الحليم**)، وهو الذي لا يستخفه شيء من عصيان العباد، ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً فهو منتهٍ إليه[٦].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ١/٢٢٨.

(٢) أبو داود بلفظه في العلم، باب في طلب العلم لغير الله، ٣/٣٢٣، (رقم ٣٦٦٤)، وابن ماجه في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم، ١/٩٣، (رقم ٢٥٢)، وانظر: صحيح ابن ماجه، ١/٤٨.

(٣) انظر: ص٢٦، من هذا الكتاب.

(٤) القاموس المحيط، باب الميم، فصل الحاء، ص١٤١٦.

(٥) المعجم الوسيط، مادة: حلم، ١/١٩٤.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الحاء مع اللام، ١/٤٣٤.

والحلم: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب[1].

والحلم: هو حالة متوسطة بين رذيلتين: الغضب، والبلادة، فإذا استجاب المرء لغضبه بلا تعقل ولا تبصر كان على رذيلة، وإن تبلد، وضيع حقه ورضي بالهضم والظلم كان على رذيلة، وإن تحلى بالحلم مع القدرة، وكان حلمه مع من يستحقه كان على فضيلة.

وهناك ارتباط بين الحلم وكظم الغيظ، وهو أن ابتداء التخلق بفضيلة الحلم يكون بالتحلم: وهو كظم الغيظ، وهذا يحتاج إلى مجاهدة شديدة، لما في كظم الغيظ من كتمان ومقاومة واحتمال، فإذا أصبح ذلك هيئة راسخة في النفس، وأصبح طبعاً من طبائعها كان ذلك هو الحلم، والله أعلم[2].

وقد وصف الله نفسه بصفة الحلم في عدة مواضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[3].

ونلاحظ أن الآيات التي وصفت الله بصفة الحلم قد قرنت صفة الحلم – في أغلب هذه الآيات – بصفة المغفرة أو العفو، ويأتي هذا الاقتران في الغالب بعد إشارة سابقة إلى خطأ وقع، أو تفريط

---

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة حلم، ص١٢٩.

(٢) انظر: مفردات غريب القرآن، ص١٢٩، وأخلاق القرآن للشرباصي، ١٨٢/١، والأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني، ٣٢٦/٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥.

في أمر محمود، وهذا أمر يتفق مع الحلم؛ لأنه تأخير عقوبة، قال سبحانه: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾[1].

ونجد أيضاً أن عدداً من الآيات التي وصفت الله بالحلم قد قرن فيها ذكر الحلم بالعلم، كقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ**﴾[2]، وهذا يفيد – والله أعلم بمراده – أن كمال الحلم يكون مع كمال العلم، وهذا من أعظم أركان الحكمة[3].

ومما يؤكد أن الحلم من أعظم أركان الحكمة - التي ينبغي للداعية أن يدعو بها إلى الله – تعالى – مدح النبي ﷺ للحلم، وتعظيمه لأمره، وأنه من الخصال التي يحبها الله ﷻ، قال ﷺ للأشج[4]: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»[5].

وفي رواية قال الأشج: يا رسول الله، أنا تخلقت بهما أم الله

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الحج، الآية: ٥٩.

(٣) انظر: أخلاق القرآن للشرباصي، ١/١٨٥.

(٤) المنذر بن عائذ بن المنذر العصري، أشج عبد القيس، كان سيد قومه، رجع بعد إسلامه إلى البحرين مع قومه، ثم نزل البصرة بعد ذلك ومات بها ﷺ. انظر: تهذيب التهذيب ١٠/٢٦٧.

(٥) مسلم، في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله – تعالى – ورسوله، ١/٤٨، (رقم ١٧/٢٥).

جبلني عليهما؟ قال: «**بل الله جبلك عليهما**»، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله[1].

وسبب قول النبي ﷺ ذلك للأشج ما جاء في حديث الوفد أنهم لما وصلوا المدينة بادروا إلى النبي ﷺ، وأقام الأشج عند رحالهم، فجمعها، وعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل إلى النبي ﷺ فقربه النبي ﷺ وأجلسه إلى جانبه، ثم قال لهم النبي ﷺ: «**تبايعونِ على أنفسكم وقومكم؟**» فقال القوم: نعم، فقال الأشج: يا رسول الله، إنك لم تزاول الرجل على شيء أشد عليه من دينه، نبايعك على أنفسنا، ونرسل من يدعوهم، فمن اتبعنا كان منا، ومن أبى قاتلناه، قال: «**صدقت، إن فيك خصلتين**...» الحديث.

فالأناة: تربصه حتى نظر في مصالحه، ولم يعجل، **والحلم**: هذا القول الذي قاله، الدال على صحة عقله، وجودة نظره للعواقب...[2].

ومما يؤكد أن الحلم من أعظم أركان الحكمة ودعائمها العظام: أنه **خلق عظيم من أخلاق النبوة والرسالة**، فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - هم عظماء البشر، وقدوة أتباعهم من الدعاة إلى الله والصالحين في الأخلاق المحمودة كافة.

---

(١) أبو داود، في الأدب، باب في قبلة الرِّجْل، ٣٥٧/٤، (رقم ٥٢٢٥)، وأحمد، ٢٠٦/٤، ٢٣/٣.

(٢) شرح النووي على مسلم، ١٨٩/١، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، ١٥٢/٦.

وقد واجه كل واحد منهم من قومه ما يثير الغضب، ويغضب منه عظماء الرجال، ولكن حلموا عليهم، ورفقوا بهم، ولانوا لهم حتى جاءهم نصر الله المؤزر، وعلى رأسهم إمامهم، وسيدهم، وخاتمهم محمد ﷺ ولم يكن غريباً أن يوجّهه الله تعالى إلى قمة هذه السيادة حين يقول له: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ* وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[1]، ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[2]، ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾[3].

وقد **بلغ النبي ﷺ في حلمه، وعفوه في دعوته إلى الله – تعالى – الغاية المثالية**، والدلائل على ذلك كثيرة جداً، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنينٍ آثر النبي ﷺ أُناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أُناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدِلَ فيها، وما أُريدَ بها

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٩٩-٢٠٠.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

وجه اللَّه، فقلت: واللَّه لأخبرن النبي ﷺ، فأتيته فأخبرته، فقال: «**فمن يعدل إذا لم يعدل اللَّه ورسوله؟! رحم اللَّه موسى فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[(١)].

وهذا من أعظم مظاهر الحلم في الدعوة إلى اللَّه – تعالى – وقد اقتضت حكمة النبي ﷺ أن يقسم الغنائم بين هؤلاء المؤلفة قلوبهم، ويوكل من قلبه ممتلئ بالإيمان إلى إيمانه[(٢)].

٢- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول اللَّه من اليمن بذهيبة[(٣)] في أديم مقروظ[(٤)] لم تُحَصَّلْ من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر[(٥)]، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل[(٦)]، والرابع إما علقمة[(٧)] وإما عامر بن الطفيل، فقال لرجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء،

---

(١) البخاري مع الفتح بلفظه، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس، ٢٥١/٦، (رقم ٣١٥٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، ٧٣٩/٢، (رقم ١٠٦٢).

(٢) انظر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ٤٩/٨.

(٣) أي ذهب. انظر: فتح الباري، ٦٨/٨.

(٤) مدبوغ بالقرظ. انظر: فتح الباري، ٦٨/٨.

(٥) وهو عيينة بن حصن بن حذيفة، نسب لجده الأعلى. الفتح، ٦٨/٨.

(٦) زيد الخيل بن مهلهل الطائي، وسماه النبي ﷺ زيد الخير، بالراء بدل اللام. انظر: فتح الباري، ٦٨/٨.

(٧) ابن علاثة العامري، أسلم وحسن إسلامه، واستعمله عمر على حوران، فمات بها في خلافته. انظر: فتح الباري، ٦٨/٨.

obeikandi.com

قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء؟**» قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمِّر الإزار، فقال: يا رسول اللَّه! اتق اللَّه، قال: «**ويلك، أولست أحقُّ أهل الأرض أن يتقي اللَّه؟**»، قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول اللَّه! ألا أضرب عنقه؟ قال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**»، فقال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه! قال رسول اللَّه ﷺ: «**إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس، ولا أشق بطونهم**». قال: ثم نظر إليه وهو مُقفٍ، فقال: «**إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب اللَّه رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[1].

وهذا من مظاهر حلم النبي ﷺ، فقد أخذ بالظاهر ولم يؤمر أن ينقب قلوب الناس، ولا أن يشق بطونهم، والرجل قد استحق القتل واستوجبه؛ ولكن النبي ﷺ لم يقتله، لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه، ولاسيما من صلى[2].

٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن، ٦٧/٨، (رقم ٤٣٥١)، ومسلم، في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ٧٤١/٢، (رقم ١٠٦٤).

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٦٩/٨.

برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذةً شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ، قد أثّرت به حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء[1].

وهذا من روائع حلمه ﷺ وكماله، وحسن خلقه، وصفحه الجميل، وصبره على الأذى في النفس، والمال، والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام؛ وليتأسى به الدعاة إلى الله، والولاة بعده في حلمه، وخلقه الجميل من الصفح، والإغضاء، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن[2].

٤- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، عُلق بها سيفه، ونمنا نومةً، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي، فقال: «**إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً**[3]**، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله (ثلاثاً)**، ولم يعاقبه وجلس»[4].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ٦/٢٥١، (رقم ٣١٤٩)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، ٢/٧٣٠، (رقم ١٠٥٧).

(٢) انظر: فتح الباري، ١٠/٥٠٦، وشرح النووي على مسلم، ٧/١٤٦، ١٤٧.

(٣) والسيف صلتاً: أي مسلولاً. انظر: شرح النووي، ١٥/٤٥.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، =

وفي هذا دلالة واضحة على قوة يقينه، وصبره على الأذى، وحلمه على الجهال، وشدة رغبته في استئلاف الكفار؛ ليدخلوا في الإسلام، ولهذا ذُكِرَ أن هذا الأعرابي رجع إلى قومه وأسلم، واهتدى به خلق كثير[1].

وهذا مما يؤكد أن الحلم من أعظم أركان الحكمة ودعائمها.

٥- ومن عظيم حلمه عدم دعائه على من آذاه من قومه، وقد كان باستطاعته أن يدعو عليهم، فيهلكهم الله، ويدمرهم، ولكنه ﷺ حليم حكيم، يهدف إلى الغاية العظمى، وهي رجاء إسلامهم، أو إسلام ذرياتهم، ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيّاً من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، ضربه قومه فأدْمَوْهُ وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «**اللَّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[2].

ومما يدل على أن الحلم ركن من أركان الحكمة ملازمة صفة الحلم للأنبياء قبل النبي ﷺ في دعوتهم إلى الله تعالى.

فهذا إبراهيم أبو الأنبياء -عليه وعليهم الصلاة والسلام- قد بلغ

=

٩٦/٦، (رقم ٢٩١٠)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف، ٥٧٦/١، (رقم ٨٤٣).

(١) انظر: فتح الباري ٤٢٧/٧، ٤٢٨.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان، ٥١٤/٦، (رقم ٣٤٧٧)، ومسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ١٤١٧/٣، (رقم ١٧٩٢).

من الحلم مبلغاً عظيماً حتى وصفه الله بقوله: ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾[1]، فقد كان إبراهيم كثير الدعاء، حليماً عمن ظلمه، وأناله مكروهاً، ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله: ﴿**أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا**﴾[2].

فحلم عنه مع أذاه له، ودعا له، واستغفر[3]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾[4].

وهكذا جميع الأنبياء والمرسلين، كانوا من أعظم الناس حلماً مع أقوامهم في دعوتهم إلى الله تعالى[5].

ومن وراء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، يأتي الدعاة إلى الله والصالحون من أتباعهم، وإذا كان الله ﷻ قد جعل محمداً ﷺ مثلاً

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٤.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٤٦-٤٨.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣٩٦/٢، وتفسير البغوي، ٣٣٧/٢، والأخلاق الإسلامية للميداني، ٣٣٢/٢.

(٤) سورة التوبة: الآية: ١١٤.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ١١٤/٢، وموسوعة أخلاق القرآن للشرباصي، ١٨٥/١.

عالياً في الحلم، فقد أراد لأتباعه أن يسيروا على نهجه وسنته، ولذلك يقول الله – تعالى – عن الأخيار من هؤلاء: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا**﴾[1].

فمن صفاتهم أنهم أصحاب حلم، فإذا سفه عليهم الجهال بالقول السّيّئ لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيراً، كما كان رسول الله ﷺ لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً[2].

فعن النعمان بن مقرن المزني، قال: قال رسول الله ﷺ وسبّ رجل رجلاً عنده، فجعل المسبُوبُ يقول: عليك السلام، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إن ملكاً بينكما يذب عنك كلما يشتمك هذا، قال له: بل أنت وأنت أحق به، وإذا قال له: عليك السلام، قال: بل لك، أنت أحق به**»[3].

فهؤلاء الدعاة إلى الله والصالحون إذا خاطبهم الجاهلون قالوا صواباً وسداداً، ويردون المعروف من القول على من جهل

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٣١٠/٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ٥٥٦/١، ومجمع الزوائد، ٢٤٠/٨.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند، ٤٤٥/٥، وقال ابن كثير في تفسيره: إسناده حسن، ٣٢٦/٣.

عليهم[1]؛ لأن من أخلاقهم العفو والصفح عمن أساء إليهم، فقد تخلقوا بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعةً، حتى إذا أغضبهم أحدٌ بمقاله أو فعاله كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه. ﴿**وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**﴾[2]، فترتب على هذا الحلم، والعفو، والصفح من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير[3]، كما قال تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[4].

ومما يبين حلم أصحاب النبي ﷺ من بعده وإن كانوا خلفاء وأمراء، ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل،

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣٢٦/٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٧.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ١١٨/٤، وتفسير العلامة السعدي، ٦٢١/٦.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

فغضب عمر حتى همَّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله – تعالى – قال لنبيه ﷺ: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[1]، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافا عند كتاب الله[2].

وهذا الرجل قد جفا عمر أمير المؤمنين بعدة أمور تثير الغضب، وتجعله عرضة للانتقام والتأديب.

أول هذه الأمور: قوله: هي يا ابن الخطاب، ولم يقل: يا أمير المؤمنين.

والثاني: قوله: والله ما تعطينا الجزل، يعني العطاء الكثير.

والثالث: وهو أقبح الأمور الثلاثة، قوله: ولا تحكم بيننا بالعدل.

ومع هذا كله حلم عنه عمر وعفا عنه، وصفح عندما سمع الآية، وسمع قول الحر: إن هذا من الجاهلين، ووقف عند الآية، ولم يعمل بغير ما دلت عليه، بل عمل بمقتضاها، رضي الله عنه وأرضاه[3]، وهذا يدل على كمال حلمه وحكمته التي استفادها من هدي رسول الله ﷺ، فرسخت في ذهنه حتى كانت هيئة راسخة ثابتة في نفسه

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، ٨/٣٠٤، (رقم ٤٦٤٢).

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٣/٢٥٩، ٨/٣٠٥، ١٣/٢٥٠.

وخلقه.

وهذا يحتاج في بداية الأمر إلى جهاد وقوة، ولهذا قال النبي ﷺ: «**ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[(١)].

ولاشك أن الغضب يهدم الحلم وينافيه، وصاحب الغضب لا يكون حليماً، ولهذا قال ﷺ لمن قال أوصني: «**لا تغضب**»[(٢)].

والداعية إلى الله يستطيع أن يتصف بالحلم؛ ليكون حكيماً، وذلك بعلاج الغضب، إذا حل به ونزل، ولا يكون العلاج النافع إلا بما شرعه الله، وبينه رسوله ﷺ، فقد عمل على تربية المسلمين تربية قولية، وفعلية عملية، حتى يكونوا حلماء، حكماء.

علاج الغضب:

وعلاج الغضب بالأدوية المشروعة يكون بطريقتين:

الطريق الأول: الوقاية:

ومعلوم أن الوقاية خير من العلاج، وتحصل الوقاية من الغضب

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ٥١٨/١٠، (رقم ٦١١٤)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، ٢٠١٤/٤، (رقم ٢٦٠٩).

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ٥١٨/١٠، (رقم ٦١١٦)، والحديث فيه: فردد مراراً، قال: «لا تغضب».

قبل وقوعه باجتناب أسبابه، واستئصالها قبل وقوعها، ومن هذه الأسباب التي ينبغي لكل مسلم أن يُطهِّر نفسه منها: الكبر، والإعجاب بالنفس، والافتخار، والتيه، والحرص المذموم، والمزاح في غير مناسبة، أو الهزل وما شابه ذلك[1].

الطريق الثاني: العلاج إذا وقع الغضب:

وينحصر في أربعة أنواع كالآتي:

النوع الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان، قال الله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[2]. وعن سليمان بن صُردٍ ﷺ قال: استبَّ رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسبّ صاحبه مغضباً قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلمُ كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد. لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»[3].

ولما كان الشيطان على نوعين: نوع يُرى عياناً، وهو شيطان الإنس، ونوع لا يُرى، وهو شيطان الجن، جعل الله سبحانه المخرج

---

(١) انظر: الدعائم الخلقية والقوانين الشرعية، للدكتور صبحي محمصاني، ص٢٢٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠، وانظر: سورة المؤمنون، الآية: ٩٧، وسورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ٥١٨/١٠ (رقم ٦١١٥)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، ٢٠١٥/٤، (رقم ٢٦١٠).

من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن، ومن شر شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه[1]، وما أحسن ما قاله القائل:

فما هو إلا الاستعاذة ضارعاً أو الدفع بالحسنى هما خيرُ مطلوب

فهذا دواء الداء من شر ما يُرى وذاك دواءُ الداء من شر محجوب[2]

النوع الثاني: الوضوء، عن عطية السعدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِقَ من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**»[3].

النوع الثالث: تغيير الحالة التي عليها الغضبان، بالجلوس، أو الخروج، أو غير ذلك، عن أبي ذر ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»[4].

---

(١) انظر: سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠، وسورة المؤمنون، الآية: ٩٧، وسورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٢) انظر: زاد المعاد، ٤٦٢/٢-٤٦٣، بتصرف يسير، وأضواء البيان، ٣٤١/٢-٣٤٢.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، ٢٤٩/٤، (رقم ٤٧٨٤)، قال الشيخ عبد العزيز ابن باز ﷺ: «وإسناده جيد»، وانظر: تهذيب السنن، ١٦٥/٧-١٦٨، وعون المعبود، ١٤١/١٣.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ١٥٢/٥، وأبو داود في الأدب، باب ما يقال عند الغضب ٢٤٩/٤ (رقم ٤٧٨٢)، وابن حبان ص٤٨٤ (موارد)، وشرح السنة للبغوي ١٦٢/١٣، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح ٧٠/٨، وانظر: صحيح سنن أبي داود ٩٠٨/٣.

النوع الرابع: استحضار ما ورد في فضل كظم الغيظ من الثواب، وما ورد في عاقبة الغضب من الخذلان العاجل والآجل، عن معاذ بن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من كظم غيظاً وهو قادرٌ على أن ينفذه دعاه الله ﷻ على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيّره الله من الحور ما شاء**»[1]. وهذه الأنواع أدلة ثبوتها واضحة من الكتاب والسنة.

وإذا أراد الداعية أن يزداد حلمه، وتعظم حكمته، فليحرص على الأسباب التي تدعو إلى الحلم، فليعمل بها، وهي عشرة:

١-الرحمة بالجهال، فإنها من أوكد أسباب الحلم.

٢-القدرة على الانتصار؛ وذلك من سعة الصدر، وحسن الثقة.

٣-الترفع عن السباب، وذلك من شرف النفس وعلو الهمة.

٤-الاستهانة بالمسيء:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت

٥- الاستحياء من جزاء الجواب، وهذا من صيانة النفس وكمال المروءة.

---

(١) سنن أبي داود في كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً ٢٤٨/٤ (رقم ٤٧٧٧)، والترمذي، كتاب صفة القيامة، باب حدثنا عبد بن حميد، ٦٥٦/٤، (رقم ٣٤٩٥)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحلم، ١٤٠٠/٢، (رقم ٤١٨٦)، وانظر: صحيح الترمذي، ٣٠٥/٢، وصحيح ابن ماجه، ٤٠٧/٢، وصحيح الجامع، ٣٥٣/٥، وصحيح أبي داود، ٩٠٧/٣.

٦- التفضل على السّاب، وهذا من الكرم وحب التآلف.

٧- قطع السباب، وهذا من الحزم، كما قال الشاعر:

وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى وفي الخرق إغراء فلا تك أخرقا

٨- الخوف من العقوبة على الجواب، وهذا مما يقتضيه الحزم، فقد قيل: الحلم حجاب الآفات.

٩- الرعاية ليد سالفة، وحرمة لازمة، وهذا من الوفاء وحسن العهد، قال الشاعر:

إن الوفاء على الكريم فريضة واللؤم مقرون بذي الإخلاف

١٠- المكر وتوقع الفرص الخفية، وهذا من الدهاء، وقد قيل: من ظهر غضبه قل كيده.

وقال بعض الشعراء:

ولَلْكفّ عن شتم اللئيم تكرماً أضر له من شتمه حين يشتم[1]

فإذا راعى الداعية الوقاية من الغضب، والعلاج، وهذه الأسباب العشرة كان حليماً بإذن الله – تعالى – وبهذا يحقق ركناً من أركان الحكمة، التي من أوتيها فقد أُوتي خيراً كثيراً.

وينبغي أن يعلم أن الغضب لله يكون محموداً، ولا يدخل في الغضب المذموم، فالغضب المحمود يكون من أجل الله، عندما ترتكب حرمات الله، أو تترك أوامره ويستهان بها، وهذا من علامات

(١) انظر: أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي، المتوفى سنة ٤٥٠هـ، ص٢١٤.

قوة الإيمان، ولكن بشرط أن لا يخرج هذا الغضب عن حدود الحلم والحكمة، وقد كان رسول الله ﷺ يغضب لله إذا انتهكت محارمه، وكان لا ينتقم لنفسه، ولكن إذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء، ولم يضرب بيده خادماً، ولا امرأة، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وقد خدمه أنس بن مالك رضي الله عنه عشر سنوات، فما قال له: أُفٍّ، قَطُّ، ولا قال له لشيء فعله: لم فعلت كذا، ولا لشيء لم يفعله ألا فعلت كذا؟[1].

وهذا لا ينافي الحلم والحكمة، بل الغضب لله في حدود الحكمة من صميم الحلم والحكمة.

المطلب الثالث: الأناة

الأناة في اللغة: التثبت وعدم العجلة، يقال: تَأنَّى في الأمر: مكث ولم يعجل، والاسم منه: أناة[2].

ويقال: تأنى في الأمر: ترفَّق، وتنظّر، وتَمهّلَ، واستأنى به: انتظر به وأمهله[3].

---

(١) انظر: عدة حالات غضب فيها النبي ﷺ لله تعالى، في البخاري مع الفتح، في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله – تعالى – ١٠/٥١٧، (رقم ٦١٠٩-٦١١٣)، وانظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص١٢٧، وفتح الباري، ١٠/٥١٨.

(٢) المصباح المنير، مادة: أنى ٢٨.

(٣) انظر: مختار الصحاح، مادة: أنى، ص١٣، والمعجم الوسيط، ١/٣١.

وتأتي الأناة بمعنى التبيّن والتثبُّت في الأمور، يقال: تَبيّنَ في الأمر والرأي: تثبت، وتأنى فيه ولم يعجل[1].

ويأتي التبيُّن بمعنى: التبصر: التعرف والتأمل، يقال: تبصر الشيء، وتأمل في رأيه: تبين ما يأتيه من خيرٍ أو شرٍ[2].

وعلى ضوء ما تقدم تكون الأناة هي: التصرُّف الحكيم بين العجلة والتباطؤ[3].

والأناة مظهر من مظاهر خُلق الصبر، وهي من صفات أصحاب العقل والرزانة، بخلاف العجلة فإنها من صفات أصحاب الرعونة والطيش، وهي تدل على أن صاحبها لا يملك الإرادة القوية القادرة على ضبط نفسه تجاه انفعالاته العجولة، وبخلاف التباطؤ والتواني فهما من صفات أصحاب الكسل والتهاون بالأمور، ويدلان على أن صاحبهما لا يملك القدرة على دفع همته للقيام بالأعمال التي تحقق له ما يرجوه، أو ليس لديه همة عالية تنشد الكمال، فهو يرضى بالدنيات، إيثاراً للراحة، وكسلاً عن القيام بالواجب.

والأناة عند الداعية إلى الله – تعالى – تسمح له بأن يُحكم أموره، ويضع الأشياء في مواضعها، فهي ركن من أركان الحكمة،

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مادة: أبان ٨٠/١، ومادة: ثبت ٩٣/١.

(٢) انظر: القاموس المحيط، باب الراء، فصل الباء ص٤٤٨، ومختار الصحاح، مادة: (بصر) ص٢٢، والمعجم الوسيط، ٥٩/١.

(٣) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن الميداني، ٣٥٢/٢.

بخلاف العجلة؛ فإنها تعرضه لكثير من الأخطاء والإخفاق، والتعثر، والارتباك، ثم تعرضه للتخلف من حيث يريد السبق، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وبخلاف التباطؤ والكسل فهو أيضاً يعرضه للتخلف والحرمان من تحقق النتائج التي يرجوها[1].

والداعية مطلوب منه أن يتخلق بخلق الأناة، ولكن ما يتطلب من الأمور عملاً سريعاً فالحكمة السرعة إذن، وهي لا تخرج عن الأناة، فالقضية نسبية، وما يتطلب من الأمور عملاً بطيئاً فالحكمة البطء إذن، وهو لا يخرج عن الأناة؛ لأن الأمر نسبي، وليس للأناة مقادير زمنية ثابتة؛ ولكنها تختلف باختلاف حاجة الأشياء إلى مقدار السرعة الزمنية التي تحتاجها وتستدعيها النتائج المطلوبة، فالأشياء مربوطة بأوقاتها، والعجلة فيها مع معرفة أوقاتها المطلوبة خلقٌ مذموم يدل على ضعف خلق الصبر، ونقص الحكمة، والتباطؤ فيها خلق مذموم يدل على ضعف الهمّة والإخلاد إلى الراحة والكسل، أما الأناة فليست تعجلاً ومسابقة لأوقات الأشياء، ولا تباطؤاً وكسلاً، وكل من العجلة والتباطؤ يضيعان على أصحابهما الجهد والزمن، وما بذلوه، والأناة هي الكفيلة – بإذن الله تعالى – بتحقيق المطلوب، وتفادي الخسارة.

وقد ذم الإسلام الاستعجال ونهى عنه، وذم التباطؤ والكسل

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن الميداني، ٣٥٣/٢، وأخلاق القرآن الكريم للشرباصي، ١٥/٣.

ونهى عنه، ومدح الأناة وأمر بها، وعمل على تربية المسلمين على الأناة والتثبت الحكيم في القيام بالأعمال وتصريف الأمور[1].

قال الله – تعالى – للنبي ﷺ تربية له وتعليماً: ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾[2].

فأمر الله سبحانه نبيه بعدم العجلة ومسابقة الملَك في قراءته، وتكفل الله له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره[3].

وقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[4].

وأمر سبحانه عباده المؤمنين والدعاة إلى الله – تعالى – بالتأني في الأمور والتثبت فيها: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾[5]، قرأ الجمهور: (**فتبينوا**) من التبين، وهو التأمل، وقرأ حمزة

---

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني، ٣٥٣/٢، ٣٥٤ بتصرف.

(٢) سورة القيامة، الآيات: ١٦-١٩.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٥٠/٤.

(٤) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٥) سورة الحجرات، الآية: ٦.

والكسائي: (فَتَثَبَّتُوا)، والمراد من التبين التعرف والتفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد، حتى يتضح ويظهر[1].

والدعاة إلى الله أولى بامتثال أمر الله – تعالى – وبالتأني والتثبت من الأقوال والأفعال، والاستيثاق من مصدرها قبل الحكم عليها أو لها، وعليهم أن يتدبروا الأمور على مهلٍ، غير متعجلين؛ لتظهر لهم جلية واضحة، لا غموض فيها ولا التباس[2].

والداعية إلى الله – تعالى – إذا أبصر العاقبة أمِنَ الندامة، ولا يكون ذلك إلا إذا تدبر جميع الأمور التي تعرض له، ويواجهها، فإذا كانت رشداً، وحقّاً، وصواباً فليمض، وإذا كانت غيًّا، وضلالاً، وظنًّا خاطئاً، فليقف ولينتهِ حتى يتضح له الحق.

والمشاهَد والواقع أن عدم التثبت وعدم التأني يؤديان إلى كثير من الأضرار والمفاسد، فقد يسمع الإنسان خبراً، أو يقرأ نبأ في صحيفة، أو مجلة، فيسارع بتصديقه، ويعادي ويصادق، ويبني على ذلك التصرفات والأعمال التي يصدرها للمقاومة أو الموافقة، على أساس أنه حق واقع، ثم يظهر أنه كان مكذوباً، أو محرفاً، أو مزوراً، أو مبالغاً فيه، أو مراداً به غير ما فهمه الإنسان، ومن هنا يكتوي

(١) انظر: فتح القدير، للإمام الشوكاني، ٤/٦٠.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، ٦/٣٣٣٤، وموسوعة أخلاق القرآن للشرباصي، ٣/١٥.

المتسرع بلهب الندم والحسرة بسبب استعجاله وعدم تثبته.

وقد يصاب الداعية أو غيره من المسلمين بأذى دون أن يعرف مصدره، فيستعجل ويسارع فيتهم هذا، أو يسب ذاك، فيندم ويحصد ثمرة عجلته وعدم تثبته، ولو أنه تأنى، وتبين، وتثبت؛ لأدرك مصدر الأذى على حقيقته، وحينئذ يصدر التصرف على أساس البينة والبرهان، فلا يفقد أصدقاء له، ولا يضيف إلى أعدائه عدوّاً جديداً منهم.

ويدخل في العجلة وعدم التثبت تعجل الإنسان في المدح أو الذم، دون دراية أو دون موجب لذلك، أو يتعجل بالكلام قبل أن يديره على عقله، أو بالفتوى قبل أن يعرف دليله وبرهانه الذي اعتمد عليه، وبنى عليه فتواه، وبعد ذلك يحصد الغم والأسف[1]، ﴿**وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً**﴾[2].

ولعظم أمر الأناة والتبين أمر الله بها حتى في جهاد الكفار في سبيل الله، الذي هو من أعظم وسائل الدعوة إلى الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ**

(١) انظر: موسوعة أخلاق القرآن الكريم، ٢٦/٣، وفي ظلال القرآن، ٣٣٤٢/٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١.

فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[1].

ومن المعلوم أن الأمور قسمان: أمور واضحة، وأمور غير واضحة.

فالواضحة البينة لا تحتاج إلى تَثَبُّتٍ وتبيُّنٍ، لأن ذلك تحصيل حاصل.

وأما الأمور المشكلة غير الواضحة فإن الداعية خاصة والمسلمين عامةً بحاجة إلى التثبت فيها والتبين، فإن ذلك يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف عن شرور عظيمة ما يجعل المسلم في سلامة عن الزلل، وبذلك يُعْرَفُ دين العبد وعقله ورزانته[2].

ومما يزيد الآية السابقة وضوحاً ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس ﷺ **﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾** قال: كان رجل في غُنَيمة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غُنَيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: **﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** تلك الغُنَيمة، وقرأ ابن عباس: السلام[3].

وعن أسامة بن زيد ﷺ قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ١٣٢/٢.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة النساء، باب: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، ٢٥٨/٨، (رقم ٤٥٩١)، ومسلم، كتاب التفسير (رقم ٣٠٢٥).

من جهينة، قال: فصبَّحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ قال: فقال لي: «**يا أسامة، أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟**» قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذاً، قال: فقال: «**أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟**»، قال:فمازال يُكرّرها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[1].

وفي رواية قال: قلت يا رسول الله: إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا**»، فمازال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ[2].

وفي رواية: «**كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟**» قال: يا رسول الله: استغفر لي، قال: «**وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟**». قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: «**كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة**»[3].

ولهذا كان النبي ﷺ أعظم الناس أناةً وتثبتاً، فكان لا يقاتل أحداً

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة إلى الحرقات ٥١٧/٧، ١٩١/١٢ (رقم ٤٢٦٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ٩٧/١، (رقم ٩٦/ ١٥٩).

(٢) مسلم، في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ٩٦/١ (رقم ٩٧).

(٣) أخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ٩٧/١.

من الكفار إلا بعد التأكد بأنهم لا يقيمون شعائر الإسلام، فعن أنس بن مالك ﷺ: «أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم...»[1].

كان النبي ﷺ يعلم ويربي أصحابه على الأناة والتثبت في دعوتهم إلى الله – تعالى – ومن ذلك أنه كان يأمر أمير سريته أن يدعو عدوه قبل القتال إلى إحدى ثلاث خصال:

(أ) الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين.

(ب) فإن أبوا الإسلام دعاهم إلى بذل الجزية.

(ج) فإن امتنعوا عن ذلك كله استعان بالله وقاتلهم[2].

ومن تربيته لأصحابه ﷺ على الأناة وعدم العجلة قوله: «**إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تَسْعون، وأتوها تمشون، وعليكم السكينة**

---

(١) البخاري مع الفتح بلفظه مطولاً، في كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء، ٨٩/٢، (رقم ٦١٠)، ومسلم، في الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سُمِعَ فيهم الأذان، ٢٨٨/١، (رقم ٣٨٢).

(٢) أخرج الحديث مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، ١٣٥٧/٣، (رقم ١٣٦٥)، وانظر: زاد المعاد لابن القيم، ١٠٠/٣.

فما أدركْتُمْ فصلّوا، وما فاتكم فأتموا»[1].

وقوله: «**إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني قد خرجت**»[2].

ولسُمُوِّ الأناة أحبها الله ﷻ، قال ﷺ للأشج: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»[3].

والرسل - عليهم الصلاة والسلام - هم صفوة الخلق وقدوتهم، وهم أكمل الناس أناةً وحلماً، وأعظمهم في ذلك وأوفرهم حظّاً محمد ﷺ.

ومن أمثلة ذلك قصة سليمان مع الهدهد وتثبته وعدم عجلته، قال سبحانه عن ذلك: ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ *لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾[4].

فهذا الهدهد من جنود سليمان ﷺ كان غائباً بغير إذن سليمان،

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الجمعة، باب المشي إلى الجمعة، وقوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، ٢/٣٩٠ (رقم ٩٠٨)، ومسلم في المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بسكينة ووقار والنهي عن إتيانها سعياً، ١/٤٢٠، (رقم ٦٠٢).

(٢) مسلم، في كتاب المساجد، باب متى يقوم الناس للصلاة، ١/٤٢٢، (رقم ٦٠٤).

(٣) مسلم، في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله – تعالى – ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، ١/٤٨، (رقم ١٨).

(٤) سورة النمل، الآيتان: ٢٠، ٢١.

وحينئذ يتعين أن يؤخذ الأمر بالحزم والجد في تنظيم الجنود حتى لا تكون فوضى، فإن سليمان إذا لم يأخذ بذلك في تنظيم الجنود ومراقبتهم كان المتأخر منهم قدوة سيئة لبقية الجنود، ولهذا نجد سليمان النبي الملك الحازم يتهدد الجندي الغائب المخالف، ولكن سليمان ليس ملكاً جباراً في الأرض، ولا متسرعاً عجولاً، وهو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب، فلا ينبغي أن يترك الأناة والتثبت ويقضي في شأنه قضاءً نهائيّاً قبل أن يسمع منه ويتبين عذره، ومن ثم تبرز سمة النبي العادل المتثبت ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حجة قوية واضحة توضح عذره وتنفي المؤاخذة عنه[1].

فالأناة صفة جميلة، وتكون أجمل إذا جاءت من القادر على العقاب، ولهذا قال الشاعر ابن هانئ المغربي:

وكل أناة في المواطن سؤدد ... ولا كأناة من قديرٍ محكم

ومن يتبين أن للصفح موضعاً ... من السيف يصفح عن كثير ويحلم

وما الرأي إلا بعد طول تثبُّت ... ولا الحزم إلا بعد طول تلوم

وقال الشاعر يمدح عاقلاً حكيماً:

بصير بأعقاب الأمور كأنما ... يخاطبه في كل أمر عواقبه[2]

---

(١) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، ٢٦٣٨/٥، وفقه الدعوة في إنكار المنكر، لعبد الحميد البلالي، ص١٧.

(٢) انظر: موسوعة أخلاق القرآن، للدكتور الشرباصي، ٢٧/٣.

والداعية إلى الله ﷻ إذا تثبت، وتأمل في جميع أموره اكتسب ركناً من أركان الحكمة، وينبغي ألا يقتصر في منهجه المتكامل على التأني والتثبت في الأفعال والأقوال فحسب، بل عليه أن يجري ذلك على القلب في خواطره، وتصوراته، وفي مشاعره وأحكامه ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾[1].

فلا يقول اللسان كلمة، ولا يروي حادثة، ولا يحكم العقل حكماً، ولا يبرم الداعية أمراً إلا وقد تثبت من كل جزئية، ومن كل ملابسة، ومن كل نتيجة، حتى لا يبقى هنالك شك ولا شبهة في صحتها، وحينئذ يصل الداعية المسلم المتمسك بهذه الضوابط إلى أعلى درجات الأناة والحكمة والسداد – بإذن الله تعالى –[2].

أما العجلة فهي مذمومة، قال سبحانه عن فرعون: ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ**﴾[3]، استخفهم وحملهم على الضلالة والجهل، واستخف عقولهم، يقال: استخف عن رأيه: إذا حمله على الجهل وأزاله عما كان عليه من الصواب[4].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، ٢٢٢٧/٤.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٥٤.

(٤) تفسير ابن كثير ١٣٠/٤، وشرح السنة للبغوي، ١٧٥/١٣.

وقال سبحانه: ﴿وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾[1]، ولاشك أن الإنسان قد خلق من عجل ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[2]؛ ولكنه – بحمد الله – إذا امتثل أمر الله وترك نهيه حسنت أخلاقه وطبائعه.

والعجلة لها أسباب ينبغي اجتنابها، منها: عدم النظر في العواقب، وسنن الله في الكون، ومنها الشيطان عدو الإنسان؛ فإن أساس العجلة من الشيطان؛ لأنه الحامل عليها بوسوسته، فيمنع من التثبت والنظر في العواقب، فيقع المستعجل في المعاطب والفشل[3]، ولذلك قيل:

يا صاحبي تلوما لا تعجلا إن النجاح رهين أن لا تعجلا

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: لا يزال الرجل يجني من ثمرة العجلة الندامة[4].

وينبغي أن يُعْلَم أن العجلة المذمومة ما كان في غير طاعة، ومع عدم التثبت وعدم خوف الفوت، ولهذا قيل لبعض السلف: لا تعجل، فإن العجلة من الشيطان، فقال: لو كان كذلك لما قال موسى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[5].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٣) انظر: شرح السنة للبغوي، ١٣/١٧٦، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، ٣/١٨٤.

(٤) انظر: تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، ٦/١٥٣.

(٥) سورة طه، الآية: ٨٤.

obeikandl.com

وقد قال بعض السلف: لا تعجل عجلة الأخرق، وتحجم إحجام الواني.

والخلاصة: أنه يستثنى من العجلة ما لا شبهة في خيريته، قال تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**﴾[1].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال الأعمش: ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ: «**التُّؤَدَةُ**[2] **في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة**»[3].

وعن عبد الله بن سرجس المزني، أن النبي ﷺ قال: «**السَّمْتُ الحسن**[4]**، والتُّؤَدَةُ والاقتصاد**[5]**، جزء من أربعةٍ وعشرين جزءاً من النبوة**»[6].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) التؤدة: التأني. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ٢٧٧/٣، وعون المعبود، ١٦٥/٣.

(٣) أبو داود، كتاب الأدب، باب الرفق، ٢٥٥/٤، (رقم ٤٨١٠)، والحاكم بلفظه، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ٦٤/١، وانظر: صحيح سنن أبي داود، ٩١٣/٣.

وذلك لأن الحزم بذل الجهد في عمل الآخرة؛ لتكثير القربات ورفع الدرجات لأن في تأخير الخيرات آفات. انظر: فيض القدير، ٢٧٧/٣، وعون المعبود، ١٦٥/٣.

(٤) السمت الحسن: هو حسن الهيئة والمنظر. انظر: فيض القدير للمناوي، ٢٧٧/٣.

(٥) الاقتصاد: هو التوسط في الأمور والتحرز عن طرفي الإفراط والتفريط. انظر: المرجع السابق، ٢٧٧/٣.

(٦) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، ٣٦٦/٤، (رقم ٢٠١٠)، وانظر: صحيح سنن الترمذي، ١٩٥/٢.

obeikandi.com

وبهذا يعلم أن الأناة في كل شيء محمودة وخير إلا ما كان من أمر الآخرة، بشرط مراعاة الضوابط التي شرعها الله حتى تكون المسارعة مما يحبه الله تعالى[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه: «**التأني من الله، والعجلة من الشيطان**»[2].

(١) انظر: شرح السنة للبغوي، ١٣/١٧٧، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، ٦/١٥٣.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ٣/١٠٥٤، والبيهقي في السنن الكبرى، ١٠/١٠٤٠، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/٤٠٤: هذا إسناد حسن رجاله ثقات...

obeikandl.com